مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٢) نيسان. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

الايدولوجية الدينية في شعر إسماعيل الصياح

الباحث. أحمد فرحان عبد أ.م.د حاكم جاسم عبد الله
جامعة سومر/ كلية التربية الأساسية
ahmed.frhan@hs.uos.edu.iq

الملخص

يهدف البحث الحالي الى تسليط الضوء على الأيديولوجيا الدينية وتمثيلاتها في شعر الشاعر العراقي المعاصر (إسماعيل الصياح) بكونها أداة مهمة لتشكيل الأفكار المراد طرحها من خلال نصه الادبي وفق متبنيات دينية قد جُبل عليها الشاعر، نتيجة نشأته وسط مجتمع محافظ نسبياً يمكن ان يوصف بأنه مجتمع يميل الى التدين، وقد بانت ملامح تلك الأيديولوجيا بشكل بارز وجلي، من خلال توظيفه للقصص القرآنية والالفاظ الدينية.

الكلمات المفتاحية:(الأيديولوجيا الدينية، شعر إسماعيل الصياح).

Religious Ideology in the Poetry of Ismail al-Sayyah

Researcher: Ahmed Farhan Abdul, Assistant Professor Dr. Hakim Jassim Abdullah
University of Sumer/College of Basic Education
ahmed.frhan@hs.uos.edu.iq

Abstract

The current research aims to highlight religious ideology and its representations in the poetry of the contemporary Iraqi poet (Ismail Al-Sayyah) as an important tool for shaping the ideas he wants to present through his literary text according to religious principles that the poet was raised on, as a result of his upbringing in a relatively conservative society that can be described as a society that tends towards religiosity. The features of that ideology appeared prominently and clearly through his use of Qur'anic stories and religious terms.

Keywords: (Religious ideology, Poetry of Ismail Al-Sayyah).

إنَّ قضية الخطاب الديني من القضايا المهمة التي ظهرت في العصور الأولى لنشوء المجتمعات البشرية واستمرت بصورة أو بأخرى في مختلف الازمنة وعلى مر العصور وذلك لكون ان الطبيعة البشرية لجميع المجتمعات الإنسانية بمختلف اعراقها والوانها تميل الى

الاعتقاد بما لا يمكن ادراكه بالعقل البشري بل والايمان بان هنالك قوى خفية مسيطرة تتحكم بالإنسان وما يحيط به من طبيعة وامور غيبية أخرى، ويجب اتباع سلوك معين يتوافق مع طبيعة تلك القوى الحاكمة واستمرت قضية الخطاب الديني ترافق المجتمعات الإنسانية طيلة مسيرة تطور تلك المجتمعات وظهور الديانات السماوية المختلفة تباعا والاخذ بتعاليمها والتمسك بها، ومحاولة مسايرتها بشكل متوازي وعلى الرغم من كل تلك المحاولات لم يتمكن الانسان من جعل الدين ايديولوجيا ولا من جعل الأيديولوجيا دين.

باعتبار أن كلا من الدين والأيديولوجيا منظومة فكرية تشريعية، وعقدية حاكمة هناك بينهما تشابه، ولكن هذا التشابه لا يمكنه أن يذيب ما بينهما من فوارق حاسمة تمنع أن يكون الدين أيديولوجيا (إيتين، ٢٠٠٦: ٢٥).

واستمر هذا التوظيف للمعتقد في جميع مجالات الحياة كونه يعد أداة قوة للحجة والبرهان ووسيلة للأقناع، كما يعتبر (الدين من أهم العناصر التي ساهمت في قيام الحركات الاجتماعية بسبب ارتباطه المباشر بمشاكل الواقع وتحدياته، إلى جانب كونه شكل من أشكال الصراع الاجتماعي والأيديولوجي والحضاري (حبيله، ٢٠١٥: ٦٧_٧٢).

الى ان ظهر الدين الإسلامي، وهو دين سماوي ذو كتاب سماوي مقدس وهو (القران الكريم) وتعاليم وثوابت راكزه تمس حياة المجتمع الإسلامي سواء كانت تلك الجوانب دينية أو اقتصادية أو اجتماعية أو تنظيم المجتمعات وقد انتشرت قضية الخطاب الديني في الحقول الاجتماعية والسياسية والثقافية المختلفة، وأخذ الخطاب الديني في المجتمعات الإسلامية يتطور بعد مروره بمراحل تاريخية متعددة، واصبح الدين معيارا للأفعال الحسنة، ومنهلا للفكر القويم والحجة في الخطاب، واداة للبرهان والحجاج في النقاش واثبات صحة الموقف، لاسيما بعد ظهور العديد من الطوائف والمذاهب الإسلامية ولكل منها متبناته ومعتقداته التي نتجت عن التفاوت في الفهم وتفسير تلك التعاليم الدينية وفهمه الخاص للأمور، كما (يشير مفهوم الخطاب الديني إلى ذلك البناء من الأفكار والمعتقدات التي تتسم بأهميتها الاجتماعية التي

تتبع من ارتباطها بدين ما، ومن ثم تأثيرها في تكوين تصور متلقي الخطاب من المؤمنين بهذا الدين عن العالم الذي يعيشون فيه وتحديد كيفية تصرفهم إزاء هذا العالم (الجريبيع، ٢٠٠٩).

كما يعتبر الدين من أهم العناصر التي ساهمت في قيام الحركات الاجتماعية بسبب ارتباطه المباشر بمشاكل الواقع وتحدياته إلى جانب كونه شكل من أشكال الصراع الاجتماعي والأيديولوجي والحضاري وقد خلف هذا الصراع أشكالا مختلفة من الخطاب حسب فكر ومعتقد متبني هذه الأفكار والمعتقدات، فنرى للدين التأثر المباشر والكبير في الخطابات المختلفة بالأخص الخطابات الأدبية التي تتبع القضايا الاجتماعية والسياسية.

استخدام الالفاظ القرآنية في شعر الصياح:

نلحظ هذا التأثير بصورة جلية وواضحة في كتابات شاعرنا (إسماعيل الصياح)، وقد يتفاوت هذا التوظيف من شاعر الى اخر، كما نلاحظ ان شاعرنا قد استخدم هذا التوظيف في بعض قصائده الغزلية أو الوجدانية منها فضلا عن القصائد الدينية التي نظمت لمناسبة دينية، ففي قصيده له بعنوان (فقدان) من ديوان الكهرمان يقول فيها:

تحنو من الجذر حتى منتهى السعف
أتاك ضيفا رسول الموت
فانفلتت يمناك
تهديه روحا بارتياح وفي (الصياح، ٢٠٢١: ٧١).

نلاحظ ان هذه القصيدة هي رثاء للأصدقاء الراحلين عن عالمنا، والذين التحقوا بالعالم الاخر، وركبوا قطار الموت، وليست قصيدة دينية، الا ان الشاعر استحضر بعض الالفاظ الدينية، مثل لفظة (ضيف) والتي تحيل ذهن القارئ أو المتلقي الى اللفظة القرآنية في سورة الذاريات (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) (الذاريات، ٢٤).

فان استخدام هذه الالفاظ الدينية يمثل مدى التأثير الأيديولوجي الديني في شعر الشاعر (إسماعيل الصياح)، وأيضا كلمة (رسول الموت)، وهي كناية عن ملك الموت عزرائيل عليه السلام، وانه رسول من الله مرسل لقضاء امر الله سبحانه وتعالى لقبض روح العبد اذا حان

اجله وحلت ساعة موته، فان لفظة (رسول) هي لفظة دينية تدل على المبعوثين بأمر الله سبحانه وتعالى وقد وردت لفضة (رسول) في مواضع قرانيه كثير ومنها ما ورد سورة هود عليه السلام عندما جاءته رسل ربه لتامره بالمسير باهله ليلا (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ).

(هود، ٨١)

فأن هذا الاستخدام للكلمات والتعابير الدينية في الشكل أو المضمون ماهي الا نتاجاً لأيديولوجيا دينية عميقة قد يكون ظهورها بين كلمات الشاعر مطرزتاً نصوصه الشعرية، بقصد أو من دون قصد، وبالرغم من ذلك فقد ظهرت ملامحها جلية وطفت على سطح النص لغرض الزيادة في المعنى أو المبنى مبينة مدى تأثير الأيديولوجيا الدينية في شعر شاعرنا (إسماعيل الصياح)، وبالرغم من ان القصيدة جاءت لرثاء الأصدقاء الراحلون وبيان مدى الألم والفقد وحجم الفراغ الذي يخلفونه في نفوس من عرفهم في حياتهم وجمعته معهم الذكريات من الاهل والأصدقاء والاحبة الا انه قد استخدم بعض الكلمات الدينية الملائمة لموضوع قصيدته وفكرتها ملائمة كبيرة، لتعبر عما يجول في خاطره احسن تعبير، فقد قال في المقطع الاخير من قصيدته بعنوان (فقدان):

فمن للسامرين صفي
ها قد فقدناك
نحن الاخسرين جنى
وبينما انت
في بحبوحة الغرف
وما اعتراضا على الميقات
حسرتنا
لكن بحرا غزيرا

شال للنجف (الصياح، ٢٠٢١: ٧٢).

هنا يقوم الشاعر بطرح تسائل وكانه أراد منه ان يعاتب الراحلين فيسالهم مذكراً لهم بليالي وساعات السمر التي كانوا يقضونها رفقة بعضهم البعض، حتى يقول نحن (الاخسرين) وان هذه اللفظة هي لفضة دينية وقرآنيه تدل على من هم اشد خسارة، ولم يقل نحن الخاسرين لأن هذا يدل على وجود إمكانية الربح أو الخسارة معاً، لكن فقدان الأصدقاء هو خسارة حتمية لا وجود لإمكانيه الربح معها لذلك اختار الشاعر هذه اللفظة دون غيرها من الالفاظ الأخرى المشابهة لها في الشكل، تأكيداً منه على الزيادة في المعنى وتبيان حجم الخسارة أي خسارة صديق، فقد وردت هذه اللفظة في السياق القرآني مدللة على الذين خسروا ثواب الاخرة وهو اكبر خسارة للإنسان والتي لا يمكن معها الربح ولا تعادلها خسارة أخرى فقد قال سبحانه وتعالى (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) (الأنبياء، ٧٠).

وفي موضع اخر قال سبحانه وتعالى (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا)، وقد جاءت لفظة (الاخسرين) ملائمة للسياق القرآني الذي يتحدث عن عظم الخسارة وكبر حجمها وعدم إمكانية تعويضها، فيدل ذلك على تأثر الشاعر بالأيديولوجيا الدينية (الكهف، ١٠٣).

وان الشاعر قد عاش في مجتمع إسلامي طُبع على قراءة القرآن وتأثر به اشد التأثر، واعتاد على تلاوته وسماعه فهو احسن الكلام واجمل ما يسمع، ويظهر ذلك جلياً من خلال ما يُضمن به الشاعر نصوصه الشعرية بتلك الجواهر القرآنية الفريدة، وبالرغم من شدة الألم والحسرة لفقد الصديق، الا ان الشاعر لم يبدي امتعاضاً أو اعتراضاً على تلك الخسارة، بسبب ايمانهُ بأن هذه هي سنة الحياة وان طبيعة البشر هي الموت والفناء، ولكنهُ يشكو الم الفقد والحسرة على فراق الأحبة من الأصدقاء، غير معترضاً على قضاء الله وقدره، وان لكل انسان كتابٌ واجلٌ مسمى ولابد له من الموت حين يأتي امر الله وتحين ساعة وفاته وتسلم الروح الى خالقها وبارئها.

كما أورد الشاعر لفظة (الميقات) وهي لفضة قرانيه تدُل على المحدد من الزمن الموعود، وتُدل على وقت معين وثابت لحدوث الامر في ذلك الوقت، كما جاءت في القرآن الكريم في

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٢) نيسان. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

سياق قصة سيدنا موسى (عليه السلام) في سورة الأعراف (وَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (الأعراف، ١٤٢).

وهنا إشارة الى ان لكل انسان اجل وساعة وفاة محددة ومعلومة وإذا حلت هذه الساعة يعني قد حانت وفاته، فلم يقل الشاعر في هذا الموضع من القصيدة ساعة الموت أو ساعة الوفاة أو انتهاء الاجل بل أورد معناها مستعيناً بلفظة (الميقات)، وهي ذات دلالة أوسع ووقع اشد لدى المتلقي.

فنلحظ ان هذا الاستخدام للألفاظ القرآنية والدينية، قد حقق غايات الشاعر بإضافة الزيادة في المعنى واثراء النص بصورة إيجابية، وهذا يدل على وجود أيديولوجيا دينية مؤثرة في فكر الشاعر وطريقة كتابته لقصائده ودواوينه، وان هذا الاستخدام للألفاظ الدينية والقرآنية لم يأتي لغرض التأكيد على المعنى فقط في شعر الصياح، بل انهُ قد استخدم تلك الالفاظ للتأكيد على معنى معين تارة وتارة أخرى نراه يستخدمه كأداة للتشبيه عن حالة معينة أو وصف لحدث معين أراد الكشف عنه في كتاباته، فنرى ذلك جلياً في ديوانه (عندما يشهق البنفسج) في قصيدته التي جاءت رثاءً لشاعر العرب الأكبر (محمد مهدي الجواهري) ومدى تأثير الجواهري في الشاعر إسماعيل الصياح وشعره وما كان يمثلهُ الجواهري بالنسبة للأدب العربي بصورة عامة، وتبيان مكانته الأدبية وحجم الفراغ الذي خلفه رحيله، وقد جاءت القصيدة تحت عنوان (وخرج منها شاهقا يتبختر) حيث ابتدئها بإهداء بسيط مكون من خمس كلمات لكنها كانت معبرة عن حجم الخسارة وعلو شأن الجواهري بالنسبة للأدب والادباء فأن الجواهري كبير كما وصفهُ في الاهداء (الى انسكابنا الموجع الجواهري الكبير) فقال:

تفنى الموانئ
أو ترثيك بالجمل
مذ غادرتك ضلال الجب
وانشغلت فيك البحور

وانت الوتر في الاسل (الصياح، ٢٠١٥: ١٤).

فقد أورد الشاعر كلمتين أو لفظتين قرآنيتين في هذا المقطع من قصيدته وهما كل من (الجُب) و(الوتر) والجُب كما ورد في القرآن الكريم حيث قال سبحانه وتعالى في سورة (يوسف) عليه وعلى نبينا واله أفضل الصلاة والسلام

(قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن تُمْ فَاعِلِينَ) (يوسف، ١٠).

والجب هو البئر المظلم، وهذه دلالة على خلو المكان ووحشته ومدى عزلته ويريد ان يصور لنا الشاعر حالة الساحة الأدبية والميدان الثقافي بعد رحيل الجواهري، فقد كان هذا الاستخدام في تشبيه الحالة ملائم وصائب الى درجة كبيرة، فقد حقق الشاعر ما كان يسعى اليه في إيجاد صورة معبرة يصف بها حال الساحة الأدبية والميادين الشعرية بعد رحيل الكبير الجواهري من خلال هذا الاستخدام للفظة الدينية وهي لفظة (الجب).

وقد سبقت لفظة (الجب) مكانياً في القصيدة التي نظمها الشاعر للفظة (الوتر) وهذا التسلسل يأتي بوصف حالة الساحة الأدبية بعد رحيل كبيرها وزعيمها الجواهري، ومن ثم يصل بنا الشاعر لوصف مكانة الجواهري بين الشعراء والادباء وايضاح تفرده وتميزه بحضوره وشعره وهيأته، مؤكداً تميزه عن الكل حيث ان الشاعر قد شبهه بالوتر وكلمة (الوتر) كلمة قرآنية بامتياز، وكان جل استخدامها في القران الكريم ولم يتم تداولها في الأوساط الشعبية الا ما ندر، وقد وردت هذه اللفظة في سورة الفجر في قوله تعالى (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) (الفجر، ٣).

وقد دلت كلمة الوتر في هذه الآية المباركة الى المفرد في المعنى، حيث اشارت الى صلاة الشفع والوتر، وان صلاة الوتر هي صلاة من ركعة واحدة، وأيضاً تدل على المفرد من الاعداد والاشياء (ابن منظور، ١٩٩٩: ٣٩٧).

فقد برزت هنا عناية الشاعر الفائقة في اختيار هذه الكلمة دون سواها من الكلمات والمفردات القرآنية الأخرى، لكي تكون مصداقاً لتميز الجواهري وتفرده عن غيره من الشعراء والادباء في فكره الواسع ونتاجه الادبي الغزير، ونتيجة لذلك التميز سمي الجواهري ولقب

(شاعر العرب الأكبر)، وهذا اللقب انما يدل على وجود شعراء اخرون لكن الجواهري هو اكبرهم ليس في العمر بل في الشعر والاجادة فيه والتفرد عمن سواه من الشعراء الاخرين، بطريقة نظمه للقصيدة العربية وجمال الصور الشعرية ووحدة الموضوع فيها، فقد حافظت القصيدة التي كان يسطرها الجواهري بأنامله وينسجها في مخيلته انما هي امتداد لقصائد قُرنت بأسماء كبيرة مثل عنترة بن شداد وعمر بن كلثوم وامرؤ القيس وغيرهم من فحول الشعراء العرب الذين خلدتهم قصائدهم ، ولم تنفك تلك القصائد الخالدة تتوارث من جيلٍ الى جيل، وأصبحت هوية تعريفية ثابتةٌ لهم.

توظيف القصص القرآنية في شعر الصياح:

بالإضافة الى استخدامه للألفاظ القرآنية، قام الشاعر (إسماعيل الصياح) بتوظيف القصص القرآنية والاستفادة منها في التشبيه والتوصيف في قصائده الشعرية لغرض ما يتناسب معا ما يريد طرحه شعريا بين يدي القارئ والمتلقي، ومن تلك القصص التي عمل الشاعر على الاستفادة منها وتوظيفها هي قصة السيدة (مريم العذراء) عليها السلام وقصة وضعها وولادتها للسيد المسيح (عيسى ابن مريم) عليه وعلى نبينا واله أفضل الصلاة والسلام، وأيضا قصة سجود الملائكة للنبي (ادم) عليه وعلى نبينا واله أفضل الصلاة والسلام، وكذلك قصة النبي (يوسف) وقميصه الذي ألقي به على عيني النبي (يعقوب) عليه وعلى نبينا واله أفضل الصلاة والسلام، وارتد اليه بصره بعد ان أصابه العمى، وقام الشاعر أيضا بالإشارة الى قصة فصيل ناقة النبي (صالح) عليه وعلى نبينا واله أفضل الصلاة والسلام، وكذلك قصة انشقاق القمر، وقد جمع الشاعر كل تلك الإشارات في قصيدة واحدة من ديوانه (ذاكرة الرمل)، وهذه القصيدة بعنوان (القدر) وقد جاءت هذه القصيدة بحق الامام (علي بن ابي طالب) عليه السلام، وكما اسماه الشاعر بـ (رمز الإنسانية الحقة) (الصياح، ٢٠١٥: ٢٥).

والتي جاءت بمناسبة ولادته الميمونة والمباركة وما رافقها من احداث ولم تقتصر هذه القصيدة على القصص القرآنية بل احتوت على بعض الالفاظ القرآنية المباركة ولكننا سوف

نسلط الضوء على استخدام الشاعر لتلك القصص القرآنية ومدى الاستفادة منها في شعره وقد اختار الشاعر اسم (القدر) لهذه القصيدة وتسميتها بـ (القدر) إشارة منه على عظم المناسبة التي نظمت من اجلها هذه القصيدة، وان كلمة (القدر) كلمة قرانيه مباركة وجاءت كتسمية لليلة رمضانية عظيمة قرنت بنزول القران وهي ليلة ذات فظل كبير لدى المؤمنين جميعا وقال فيها:

كأنها مريم العذراء حين أتت
لكنما البيت
لا نخل ولا ثمر
وأجمعوا أمرهم ان لا مكان لها
وكادت الأرض كالبركان تنفجر.

وهنا نجد الإشارة والتشبيه لقصة ولادة السيدة (فاطمة بنت اسد) عليها السلام للأمام (علي) عليه السلام، وما رافقها من احداث مشابهة لقصة ولادة السيدة (مريم) عليها السلام للنبي (عيسى) عليه وعلى نبينا واله أفضل الصلاة والسلام، والمقارنة والتقريب بين تلك الولادتين المباركتين من أوجه عدة ومنها مكان الولادة اذ قصدت السيدة مريم (العذراء) الى الشجرة لتضع عندها مولودها كما امرت، وأصبحت تلك الشجرة مكان لولادتها الميمونة ، مقارنة بالمكان الذي أوت اليه السيدة الطاهرة (فاطمة بنت اسد) حينما ادركها المخاض وحلت بها ساعة الولادة ، حيث قصدت الى المكان الأكثر قدسية وطهارة الا وهو جوف الكعبة المشرفة لتضع وليدها المبارك (علي بن ابي طالب) عليه السلام ، ويستمر الشاعر بسرد تلك القصص القرآنية شعرا بين يدي المتلقي ، متسلسلا في ذكر الاحداث التي رافقت تلك الولادة المباركة حيث نوديت السيدة (مريم العذراء) عليها السلام في ساعة الولادة وهي بالقرب من الشجرة (وهزي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النخلة تسقط عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) (مريم، ٢٥).

فقد قام الشاعر بتشبيه السيدة (فاطمة بنت اسد) بالسيدة (مريم العذراء) عليهما السلام. في قصيدته. بعد الولادة حيث يقول في مقطع من قصيدته (القدر):

فنوديت تحتها هزي

اليك يدي

يتساقط الغوث والاركان تنفطر

وابقي ثلاثا

ولا تومي الى أحد

ولا يدخلن الى محرابك بشر

ولا تخافي

والا تحزني وذري هما (الصياح، ٢٠١٥: ٢٧).

وهنا نلحظ الإشارة الى الآية الكريمة عندما جاء الصوت الى السيدة مريم يأمرها ان تهز جذع النخلة وان لا تحزن، وهنا يستخدم الشاعر ذلك الامر ليصف لنا كيف ان الامام (علي) عليه السلام، كلم والدته وهو لايزال طفلا وليدا كما ورد في العديد من الاخبار ومنها في رواية عن بريد بن قعنب وجابر الأنصاري نذكر منها (فلما قربت ولادته أتت فاطمة إلى بيت الله وقالت. رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب مصدقة بكلام جدي إبراهيم فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت على ولادتي، فانفتح البيت ودخلت فيه فإذا هي بحوراء ومريم وآسية وأم موسى وغيرهن فصنعن مثل ما صنعن برسول الله وقت ولادته. فلما ولد سجد على الأرض يقول: اشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله واشهد ان عليا وصي محمد رسول الله بمحمد يختم الله النبوة وبي تتم الوصية وانا أمير المؤمنين) (شهرا شوب، ١٩٥٦: ٢١).

ولم يغب عن الشاعر ذكر مكان مجيء الصوت حيث قال فنوديت تحتها. وهو نفس المكان الذي اتى منه الصوت الى السيدة (مريم العذراء) وأكمل الشاعر وقال في قصيدته. (هزي اليك يدي) وهنا تشبيه ليديه عليه السلام بجذع الشجرة وهذه دلالة على قوة تلك اليدين التي لطالما دافعت عن الإسلام والمسلمين. وكذلك قام الشاعر بتشكيل قصيدته بالمزج بين العديد من القصص القرآنية بصورة جميلة ذات إشارات ودلالات تتناسب مع موضوع

القصيدة، حيث ان الشاعر لم يغفل عن قصة صيام النبي (زكريا) عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. وكانت اية النبي (زكريا) عليه السلام ان لا يكلم الناس ثلاث ليال كما جاءت في الآية التاسعة من سورة مريم (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) (مريم، ٩).

فقال الشاعر في قصيدته أعلاه (وابقي ثلاثا ..... ولا تومئي الى أحد)، وكان القصد من قول الشاعر (ثلاثا) هو استذكار لقصة صيام (زكريا) عليه السلام. وان ذلك الصيام كان اية له. وهو تعبيرا عن الشكر والامتنان على ما وهبه الله سبحانه وتعالى. حيث وهب له غلاما اسمه (يحيى). ولايزال الشاعر (إسماعيل الصياح) يطرز قصيدته بالنفائس من المجوهرات والحلل القرآنية المباركة. حيث يستحضر قصة سجود الملائكة للنبي (ادم) عليه السلام. اذ يقول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة امرآ الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (البقرة، ٤٣).

وقد استخدم الشاعر بعض الإشارات الى تلك الحادثة في قصة سجود الملائكة للنبي (ادم) عليه السلام في مقطع من قصيدته (القدر) حيث قال فيه:

وانست جنح جبرائيل يكنفها
تحفها الحور،
والاملاك تبتشر
تالله هذا الذي في صلب ادمكم له سجدنا
وكنا فيه نفتخر
هو الخليفة،
والانسان صورته
صفاته من صفات الله تنحدر (الصياح، ٢٠١٥: ٢٨).

بعد ان قام بذكر قصة السجود. بين سبب سجود الملائكة لآدم عليه السلام. وذلك لان الله سبحانه وتعالى وضع في صلبه (محمد وال محمد) عليهم أفضل الصلاة والسلام حيث ورد عن (معاذ بن جبل) أن رسول الله صلّى الله عليه واله قال: «انّ الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين من قبل ان يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام. قلت فأن كنتم يا رسول الله؟ قال: قدام العرش نسبحّ الله ونحمده ونقدّسه ونمجّده. قلت : على أيّ مثال ؟ قال : أشباح نور حتّى إذا أراد الله عزّ وجلّ ان يخلق صورنا صيّرنا عمود نور ثمّ قذفنا في صلب آدم ثمّ أخرجنا إلى أصلاَب الآباء وأرحام الأُمّهات ولا يصيبنا بخس الشرك و لا سفاح الكفر يسعد بنا قوم ونشقي بنا آخرون فلمّا صيّرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقّه نصفين فحل نصفه في عبد الله ونصفه في أبي طالب ثمّ اخرج النصف الذي لي إلى آمنه والنصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني آمنه وأخرجت فاطمة عليّاً، ثمّ أعاد عزّ وجلّ العمود إليّ فخرجت منّي فاطمة ثمّ أعاد عزّ وجلّ العمود إلى علي فخرج منه الحسن و الحسين يعني من النصفين جميعاً فما كان نور علي فصار في ولد الحسن وما كان من نوري صار في ولد الحسين فهو ينتقل في الأئمّة من ولده إلى يوم القيامة (المجلسي، ١٩٨٣: ٣_١٣).

وعندما نتابع قراءة القصيدة ذاتها نلحظ أن الشاعر قد سرح به خياله الشعري واخذنا معه الى رحاب قصة قرانيه أخرى وهي قصة نبي الله (يعقوب) عليه وعلى نبينا واله أفضل الصلاة والسلام. حيث انه أشار اليها في مقطع من قصيدته قائلا:

وهو القميص الذي ألقى الإله به على الديانات
كيما يرجع البصر
وهو الصواع الذي الرحمن كال به عدلا،
فذي جنة المأوى
وذي سقر (الصياح، ٢٠١٥: ٢٩).

وفي ذلك إشارة الى قصة العمى الذي أصاب النبي (يعقوب) عليه السلام. جراء الحزن الشديد الذي عاشه بعد فراق ابنه (يوسف) عليه السلام. وكثرة البكاء عليه. وكيف رجع اليه

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٢) نيسان. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

البصر بعدما القوا عليه بقميص ابنه (يوسف)عليه السلام. كما جاء ذلك الخبر في القران الكريم بقوله تعالى في سورة يوسف:

(اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) (يوسف، ٩٣).

كما وقد أشار الشاعر الى لفضة (الصواع) في قصيدته ذاتها. وهنا نلحظ الإشارة الى صواع الملك الذي تم وضعه في حمولة أحد أبناء (يعقوب النبي) عليه السلام. وتم ذكر خبر الصواع في القران الكريم. في قوله تبارك وتعالى (قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) (يوسف،٧٢).

وان هذا الاستخدام للقصص القرآنية بهذا الشكل المتناغم، والانتقال من قصة الى اخرئ بطريقة جميلة وسلسة انما ينم عن مقدره شعرية كبيرة لدى الشاعر برزت من خلال المزج بين تلك القصص، وإن هذا الاستخدام للقصص القرآنية بهذه الدقة والعناية الفائقة انما يدل على عمق الأيديولوجيا الدينية التي اثرت إيجابا في شعر الشاعر وتصوره وخياله، حيث انه قد تطرق في ذات القصيدة التي اختارها الباحث كنموذج للأيديولوجيا الدينية في شعر الشاعر (إسماعيل الصياح) وتم اختيار هذه القصيدة (القدر) لأنها زاخرة بالقصص والالفاظ الدينية التي هي موضوع هذا المبحث، وبالإضافة الى مأتم ذكره أنفاً من استخدام للقصص القرآنية الا ان الشاعر ذهب الى ابعد من ذلك حيث انه تطرق الى معجزة انشقاق القمر وتوظيفها في قصيدته (القدر) وقد قال فيها:

وبشروها بأن الشمس بازغة
وانبؤوها بأن البدر ينشطر
وأولته أبا نورين،
وادكِرت من بعد حين، بأن الهام تنفطر
في سجدة الفجر،
في محرابه نحروا صلاته،

ففصيل البيت هم عقروا
ولم يكن ذنبه الا عدالته
فهو الصراط الذي ضلوه
فأتمروا
كانت سمات جميع الأنبياء به
لكنهم
قدر ذاك النور ما قدروا (الصياح، ٢٠١٥: ٣٠).

فقد جاءت في الابيات أعلاه من قصيدة (القدر) إشارة الى معجزة انشقاق القمر التي وردت في القران الكريم بقوله تعالى (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ) (القمر،١)

حيث قال الشاعر في قصيدته (وانبؤوها بان البدر ينشطرُ) وهنا نجد ان الشاعر قام بتشبيه الامام علي (عليه السلام) بالقمر وان راسه الشريف وهامته المباركة سوف تشق الى نصفين من ضربة ذلك السيف وهو في محراب صلاته عليه السلام كما انشق القمر، في معجزة النبي محمد عليه واله افضل الصلاة والسلام، وبعد ذلك عرج بنا الشاعر الى ذكر قصة عقر فصيل ناقة صالح عليه السلام عندما قال الشاعر (ففصيل البيت هم عقروا)، إشارة الا ان ذلك الفصيل قد ولد من الناقة التي خرجت من بين صخور الجبل ، وان الامام علي عليه السلام قد خرجت به امه بعد ولادته من بين جدران الكعبة، وان الفصيل قد نحر وقتل على يد اشقى اهل زمانه وان راس الامام علي قد ضربت بيد اشقى الاشقياء عليه اللعنة فأن كل ما تقدم يمثل الأيديولوجيا الدينية التي تربى عليها الشاعر حتى بانت وظهرت في نصوصه الشعرية بشكل واضح وجلي نتيجة عيشه في مجتمع يسوده الطابع الديني.

المصادر والمراجع

القران الكريم
١_ ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٩٩). **لسان العرب**، ط٣، دار احياء التراث العربي.

٢_ الجريبيع، محمد عبد الله (٢٠٠٩). الخطاب الديني في الفضاءات العربية دراسة في سوسيولوجيا التأثير على الشباب الأردني، **أطروحة دكتوراه**، الجامعة الأردنية.

٣_ حبيله، الشريف (٢٠١٥). الخطاب الديني وإشكالية المفهوم، **مجلة الآداب واللغات**، ع١، ٦٧_٧٢.

٤_ سبيلا، محمد وعبد العالي، عبد السلام (٢٠٠٦). **الايدولوجية_ سلسلة دفاتر فلسفيه**، ط٢، دار توبقال للنشر، المغرب.

٥_ شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي (١٩٥٦). **مناقب ال أبي طالب**، دار الأضواء، بيروت.

٦_ الصياح، إسماعيل عبيد (٢٠١٥). **ذاكرة الرمل**، مركز تبارك للنشر.

٧_ الصياح، إسماعيل عبيد (٢٠١٥). **عندما يشهق البنفسج**، دار مدارك للطباعة والنشر.

٨_ الصياح، إسماعيل عبيد (٢٠٢١). **الكهرمان حكاية دموع معتقة**، منشورات اتحاد الادباء.

٩_ المجلسي، محمد باقر (١٩٨٣). **بحار الانوار**، دار احياء التراث العربي.